

## المبحث الأول

### البعث الإسلامى للمرأة

لا عجب ان قلنا أن الاسلام قد أعاد المرأة للحياة من جديد بعد أن أقبرت من خلال نظرة أولئك الوضعيين لها ، ومعاملتهم اياها ، ولسنا بحاجة الى اعادة ما ذكرناه آنفا ، أو لاقامة دليل على ما عنونا به هذا الموضوع ، فالدليل واضح وقائم وشاهد صدق على أولئك الوضعيين، من خلال ما سنوه من قوانين ، ووضعوه من تشريعات بل ومن خلال ما حرفوه من شرائع السماء وادعوه زورا وبهتانا — ونسبوه لأنبيائهم ، وأنبياء منه براء ، ولا ضرر اذا أوردنا بعض دعاواهم وأفعالهم ، ثم بينا وجهة نظر الاسلام فيها ، سواء أكانت هذه الدعاوى وتلك الأفعال مما سبق ذكره ، فيدخل ايرادها تحت قول الله تعالى : « فذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » (١) أو كانت وقائع ثابتة عليهم ولم يتطرق الحديث اليها فنعرضها ونورد موقف الاسلام منها ، ومن خلال ذلك يبين أن الاسلام قد أعاد هذه الولود الوادود الى الحياة التى حرمت من أن تعيشها على أساس أنها مخلوقة الله تعالى شريكة آدم وجزء منه وأنيسة حياته ، ونور بيته ، وعماد أسرته وشجرته التى يستظل بظها ويرعاها ، يأوى اليها من هجير الحياة ووهج مشاكلها وأحداثها فيجد عندها الظل ، والرى والمأوى ، والسكن بكل ما فى الكلمة من أبعاد الراحة والاطمئنان ، والستر والحماية والمودة والأمان وصدق الله العظيم : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » (٢) .

(١) الآية ٥٥ من سورة الذاريات .

(٢) الآية ١٨٧ من سورة البقرة .

## فرية ردها القرآن عنها :

لقد حاول الوضعيون جميعا النيل من المرأة منذ أن خلقت ، فوصفوها بأنها أساس الغواية ، ومدخل الشيطان الى الرجل ، وأنها هي التي أودت بالرجال جميعا الى الخروج من الجنة ، بما اقترفت يوم أن خلق الله آدم وأسكنه الجنة ، ذهب الوضعيون الى أن حواء كانت سبب غواية آدم وأن إبليس - اللعين - استمالها اليه ، واتخذ منها طريقا ليوقع بآدم فكان ما كان من الخروج من الجنة ...

ومن هنا انهالت عليها لعناتهم ، ووصمتها أقلامهم بأفزع ما يمكن أن يوصم به مخلوق ، قالوا عنها ما قالوا مما عرضناه فيا سبق ووصلت مقولتهم الى الكتب التي نزلت على أنبيائهم ، فحرفوا هذه الكتب ، وسطروها حسيما سوات لهم نفوسهم ، ولانزال فعلتهم هذه قائمة تشهد عليهم بما تحدثوا به عن أمهم - السيدة حواء - عليها السلام - وعن كل من تناسل منها من بنات جنسها ... فجاء القرآن الكريم ينطق بالحق ، ويقول الصدق ، ويرسى قواعد الانصاف والعدل ويدفع عن السيدة حواء ما اتهموها به ، واختصوها باقترافه ، ورد القرآن الكريم دعواهم هذه ردا قاطعا ، وسلك في ذلك مسلكين :

أولهما : حدث القرآن الكريم عما كان من آدم وحواء عليهما السلام - وما أوقعهما الشيطان فيه حديثا مسندا اليهما ، وكلاهما مخاطب به وواقع تحت طائلته ، ولم يشر القرآن الكريم - في حديثه عما كان من أمر الأكل من الشجرة ، والموسوسة الى أن ذلك كان بايعاز من السيدة حواء أو مشاركة في الحض عليه والدعوة له .  
وانما الذي أشار اليه القرآن هو أنها كانت مثلها مثل آدم - عليهما السلام - مجنيا عليها من قبل الشيطان الرجيم ، ومرة أخرى مثلها في ذلك مثل آدم .

هذا ما حدث به القرآن الكريم في أحد مسلكيه في الحديث عن  
تلك الواقعة التي جرت في الجنة ... وسأعرض بعضا مما حدث به  
القرآن الكريم عن ذلك ، حتى يتضح الأمر ، ويبين الموقف ويثبت  
الدفاع انقرآني والانصاف الاسلامي للمرأة ...

يقول الله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا  
منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ،  
فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ... » (١) .

والقرآن الكريم هنا يذكر الأمر كله مسندا الى آدم وحواء -  
عليهما السلام - باللفظ الصريح ، تارة بالاعراض ، وتارة باستعمال  
ألف الاثنين الضمير الذي يشتركان فيه من غير تقدم أحدهما على الآخر  
« لا تقربا .. فتكونا .. فأزلهما .. فأخرجهما .. » ما أروع أسلوب  
القرآن في اظهار الحقيقة ... ودمغ أباطيل الدعين ...

ويقول الله تعالى أيضا محدثا رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين  
تبعاله ، « هبنا الحقيقة الأكيدة مخبرا عما كان حين خلق الله آدم وحواء  
وأسكنهما الجنة ... »

« وبأدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا  
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فرسوس لهما الشيطان ليبدى لهما  
ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن  
تكونا ما بين أو تكونا من المخالدين ، وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ،  
فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان

(١) الآيتان ٣٥ ، ٣٦ من سورة البقرة .

عليهما من ورق الجنة وناداهما ربها ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل  
لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ، قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر  
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» (١) •

والقرآن الكريم هنا قد سلك في حديثه مسلكان يثبت أن آدم  
وحواء — عليهما السلام — كانا متساويين في الأمر كله ... الأمر من  
الله تعالى ، والموسوسة من الشيطان ، وما تبع ذلك ... « لا تقربا ..  
فوسوس لهما الشيطان .. وقاسمهما انى لكما .. فدلاهما .. وناداهما  
ربهما .. قالا ربنا ظلمنا أنفسنا .. »

أبعد هذا الأسلوب القرآنى الرائع يمكن أن تقوم قسمة لدعوى  
المبطلين الوضعيين •

انه الانصاف القرآنى للمرأة التى طحنتها دعوى أولئك وقتلتها  
وهى تسمى بينهم تحمل ما حاكوه لها من أثواب الخطيئة ... ويأتى  
القرآن ببراءتها وما ادعوه ، وانصافها ورد ما سببوه من حقوقها  
ومكانتها ...

المسلك الثانى الذى سلكه القرآن الكريم فى ابطال اتهاماتهم للسيدة  
حواء وبناتها من بعدها ، يتمثل فيما أورده الله — سبحانه وتعالى —  
فى القرآن الكريم من آيات تتحدث عما كان من آدم — عليه السلام —  
وتبين أن الشيطان ويسوس اليه ، وأن آدم قد أقبل على الأكل من  
الشجرة هو والسيدة حواء نتيجة وسوسة الشيطان اليه ...

(١) الآيات ١٩ - ٢٣ من سورة الاعراف •

كما أن الحديث القرآني في هذه الآيات قد أورد الموسوسة في هذا الموضع من الشيطان الى آدم ، دون أن يورد القرآن ذكر السيدة حواء ، لا باسمها ولا بما يقوم مقام اسمها من الضمائر الظاهرة أو المستترة ...

فالموسوسة طبقا لما جاءت به هذه الآيات قد صدرت من الشيطان الى آدم ، وجاء ذكر آدم عن طريق ايراد الضمير المفرد المتصل - بصيغة الغائب - مع أن الضمائر التي سيقت قبله وتعود الى آدم كانت كلها ضمائر الخطاب ، وفي ذلك كما يقول البلاغيون لون من ألوان الالتفات البلاغي ، كما أن فيه من أساليب الحصر البلاغي ما يكاد يلمسه السامع ...

وفي ذلك ما فيه من دفع الدعاوى الباطلة - التي وجهها الوضعيون عن السيدة حواء أم البشرية وبناتها من بعدها - أولئك الذين حملهن الوضعيون جرم ما حاكوه ، ونسجوا خيوطه ، وألصقوه بأمر الآدميين كلهم ...

ويزيد القرآن في الرد والبيان والحجة والدليل ما يدفع دعاوى المدعين فيقرر القرآن مبدأ من أهم المبادئ العادلة في مجال التجريم والعقاب .. « كل امرئ بما كسب رهين » (١) .

• « كل نفس بما كسبت رهينة » (٢) .

• « قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون » (٣) .

(١) من الآية ٢١ سورة الطور .

(٢) الآية ٢٨ من سورة المدثر .

(٣) الآية ٢٥ سبأ .

« من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل علينا ولا تتر  
 وازرة وزر أخرى » (١) •

هذه الآيات وغيرها تدمغ دعاواهم وتدفع عن الولود الودود كل  
 ما يدعون ، ويسترون به عوراتهم الخلقية والفكرية ••••• وتدفع أيضا  
 عن غيرها من يزعم المزاعمون أنهم قدموا أنفسهم تكفيرا عن خطيئة آدم  
 أو غيره •••

انها العدالة السماوية الحققة ، فلا تتر وازرة وزر أخرى •••